العلاقات الثقافية الفرنسية – البريطانية

١٩٧٠–١٩٧٤

Franco-British Cultural Relations 1970-1974

ا. م. د. أشواق سالم إبراهيم الدوري

A.M .Dr. Ashwaq Salem Ibrahim Al-Dour

جامعة سامراء /كلية التربية

قسم التاريخ

العلاقات الثقافية الفرنسية – البريطانية ١٩٧٠-١٩٧٤

ا. م. د. أشواق سالم إبراهيم الدوري

الملخص

اتسمت العلاقات الثقافية الفرنسية البريطانية خلال المدة ١٩٧٠-١٩٧٤، بتحول نحو مزيد من الانفتاح والتعاون ، مدفوعًا بانضمام بريطانيا في نهاية المطاف إلى السوق الأوربية المشتركة، وشهدت تلك المدة ذروة الجهود المبذولة لتجاوز التوترات السابقة وتعزيز الروابط الوثيقة، ولا سيما في سياق التكامل الأوربي، وامتازت العلاقات الفرنسية – البريطانية من الناحية الثقافية بكونها علاقة تكافوء بين الطرفين ، فقد سعت كلتا الدولتين إلى نشر اللغة الخاصة بها وثقافتها في البلد الثاني ، من خلال المؤتمرات والندوات الثقافية التي أقيمت في كلا البلدين ، وأيضاً عن طريق البرامج التعاونية في المجال الثقافي طوال تلك المدة .

الكلمات المفتاحية (فرنسا – بريطانيا – العلاقات الثقافية)

Abstract

Franco-British cultural relations during the period 1970-1974 were marked by a shift towards greater openness and cooperation, driven by Britain's eventual accession to the European Economic Community. This period witnessed the culmination of efforts to overcome previous tensions and strengthen close ties, particularly in the context of European integration. Culturally, Franco-British relations were characterised by a relationship of equals between the two parties. Both countries sought to spread their respective languages and cultures in the other country through cultural conferences and seminars held in both countries, as well as through cooperative programmes in the cultural field throughout this period.

Keywords (France - Britain - Cultural Relations)

المقدمـة

تعـرف العلاقـات الثقافيـة بـين الـدول بأنهـا تفـاعلات متبادلـة غيـر قسـرية بـين ثقـافتين أو أكثـر، وتضـمنت مجموعـة متنوعـة مـن الأنشـطة التـي تقـوم بهـا جهـات فاعلـة مـن الدولـة وغيـر الدولـة داخـل فضـاء المجتمـع الثقـافي والمـدني، وعُـدت الدبلوماسـية الثقافيـة جـزءًا هامًـا مـن تلـك العلاقـات، إذ سـعت إلـى تعزيـز التفـاهم المتبـادل بـين الشـعوب مـن خـلال تبـادل الأفكـار والمعلومـات والقـيم والأنظمـة والتقاليـد والمعتقـدات، فضـلاً عـن جوانـب أخـرى مـن الثقافـة، كمـا ان العلاقـات الثقافيـة أدت دورًا حيويًـا فـي بنـاء عـالم أكثـر تفهمًـا ، إذ سـاعدت فـي تعزيـز التفـاهم المتبـادل بـين الشـعوب، وسـاهمت فـي تحقيـق السـلام والاسـتقرار علـى المـدى الطويـل، وفـي ذلـك الصـدد تناولـت هـذه الدراسـة العلاقـات الثقافيـة بـين فرنسـا وبريطانيـا بـين عـامي ١٩٧٠ – ١٩٧٤ ، لتسـليط الضـوء علـى أهـم المحطـات التـي شـهدتها تلـك العلاقـات خـلال تلك المدة .

وانطلاقـا مـن ذلـك فـإن هـذه الدراسـة هـدفت إلـى التحقـق مـن أن العلاقـات الثقافيـة التـي شـكلت آليـة فعالـة وحاسـمة فـي تعزيـز العلاقـات الثنائيـة فـي المجـالات الأخـرى ، و الكشـف عـن قيمـة ودور اللغـة فـي تحقيـق الأهـداف والغايـات لكـلا البلـدين ، فضـلاً عـن اظهـار أهميـة التعـاون الثقـافي فـي مجـال التعلـيم والنـدوات الثقافيـة، والكشـف عـن الآثـار العميقـة التـي ترتبـت عـن السياسـة الثقافيـة الفرنسـية والبريطانيـة ، وضـمن هـذا السـياق ، قسـمت هـذا البحـث إلـى ، أولاً : الدبلوماسـية الثقافيـة وجـذور العلاقـة بـين البلـدين حتـى عـام ١٩٧٠ ، وتطـرق ثانيـاً إلـى : تطـور العلاقـات الثقافيـة بـين البلـدين ١٩٧٠ – ١٩٧٢، فيمـا كـان ثالثـاً : العلاقـات الثقافيـة بـين البلـدين ١٩٧٣ – ١٩٧٤.

أولاً : الدبلوماسية الثقافية وجذور العلاقة بين البلدين حتى عام ١٩٧٠.

انخرطت فرنسا منذ بداية القرن العشرين في دبلوماسية ثقافية وعلمية نشطة للغاية، وقد تجسد ذلك في إنشاء أقسام مختلفة داخل وزارة الخارجية الفرنسية، وبدءًا من عام ١٩١٠

فصاعدًا تم الترويج لسياسة ثقافية خارجية مخططة من قبل حكومة فرنسا من تطوير حضورها الدولي في مجالات الثقافة واللغة والعلوم والفنون ، وتحرك الكُتّاب الفرنسيون في الدوائر الدبلوماسية, واعتمدت الدبلوماسية الثقافية الفرنسية على شبكات خدمات التعاون الثقافي في السفارات والمؤسسات الثقافية، مع العديد من المثقفين الآخرين بما في ذلك المبادرات الخاصة والدينية للحدود الوطنية، يجب فهم الدبلوماسية الثقافية بمعناها الواسع، وليس فقط على أنها نتاج قرار حكومي [١].

عمدت الحكومات الفرنسية المتعاقبة إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسية في جميع أنحاء العالم ، بالاستعانة بعدد من الجمعيات الثقافية ، وارتبطت تلك المخططات بالعقلية الاستعمارية في ذلك الوقت، تحت شعار "المتحضر المثالي" الذي استُخدم لتأكيد قوة فرنسا في العالم ، وكان الهدف منه ، أولاً: نشر اللغة الفرنسية في المقاطعات الفرنسية, وثانياً: نشر اللغة الفرنسية في مستعمرات فرنسا، وثالثاً : نشر اللغة الفرنسية في بقية انحاء العالم [٢].

كانت معظم الجمعيات والهيئات الثقافية الفرنسية نتاج مشاريع فردية أو دينية، وبالكاد استفادت من تمويل الدولة ، بل إن حكومات الجمهورية الثالثة(١٨٧٠-١٩٤٠) المتعددة لم يكن لديها سياسة ثقافية خارجية محددة, ولم تُدرك كلٌّ من وزارة التعليم العام والفنون الجميلة ووزارة الشؤون الخارجية تأثيرهم على صورة فرنسا في الخارج إلا بعد الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥)، وفي ذلك الصدد تولّت وزارة الخارجية الفرنسية مهمة الدبلوماسية الثقافية[٣].

كان لوزارة الخارجية البريطانية دور محوري في إقناع وزارة الخزانة بأن "التأثير الثقافي" ذو قيمة هائلة بالفعل ، وفي منتصف الثلاثينات كانت هناك العديد من المبادرات الخاصة والحكومية صغيرة النطاق لزيادة حجم وفعالية ما كان يُعرف آنذاك بـ"الدعاية الثقافية"، وكان لمنظمتين على وجه الخصوص دور مهم في تطوير الدبلوماسية الثقافية، وهما المجلس الثقافي البريطاني[٤] ، وجمعية السفر وجمعية عموم الشعب (APA)، وقد روجت هاتان المنظمتان معًا لبريطانيا كوجهة سياحية، مما برهنا على أهمية تطوير العلاقات الثقافية، وقد

أدت تلك الجهود، إلى جانب اهتمام وزارة الخارجية، إلى إنشاء لجنة التفاهم والتعاون الدوليين عام ١٩٣٦ ، وترأسها السير إيفلين رينش "Evelyn Wrench" (١٨٨٢-١٩٦٦)، الذي كان أيضًا رئيسًا لجمعية عموم الشعب, وعلى الرغم قصر عمر اللجنة نفسها، إلا أنها كانت محاولة مبكرة مهمة لربط الجهود الخاصة والحكومية في تعزيز العلاقات الثقافية بين الدولتين البريطانية والفرنسية [٥].

على صعيد آخر ، نظم المجلس الثقافي البريطاني وهو الهيئة الرئيسية المسؤولة عن العلاقات الثقافية الخارجية في بريطانيا معرضاً فنياً بمشاركة في معرض كيلفينغروف " Kelvingrove " للفنون في غلاسكو في أسكوتلندا ، طوال عامي ١٩٤٣ – ١٩٤٤ ، وجذب حوالي خمسة وسبعين ألف زائر ، وحظي الحدث بتغطية إعلامية ، وسارعت اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني إلى استغلالها، وعلقت خدمة المعلومات التابعة لها في بيان صحفي بأن المعرض يصور الأوضاع الرهيبة التي عاشها الشعب الفرنسي ابان الحرب ، وبعد عرض المعرض في متجر سيلفريدجز "Selfridges" في لندن، أكد موظفو اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني على "**النجاح السياسي الكبير** " للمعرض[٦].

قدم ذلك المعرض للجمهور البريطاني والسكان الفرنسيين في بريطانيا احتفالًا بصريًا بما فعله الشعب الفرنسي اثناء الحرب العالمية الثانية ومقاومة الفرنسيين للاحتلال الألماني ، وكان جزءًا من الهدف الأوسع للحكومة البريطانية المتمثل في "رفع الروح المعنوية الفرنسية، والتغلب على ذهان الهزيمة" من خلال الاشادة بالإنجاز البطولي للقوات الفرنسية الحرة، فعلى الرغم من ظروف الحرب، استمر النشاط الثقافي الفرنسي في بريطانيا في الازدهار ، ومع ذلك، لم يسعَ فقط إلى استهداف الجمهور البريطاني، كما كان الحال منذ أوائل القرن العشرين، بل استهدف أيضًا المنفيين واللاجئين الفرنسيين الذين استقروا في بريطانيا[٧].

ارتبطت السياسات الثقافية الفرنسية في بريطانيا ارتباطًا وثيقًا بأهداف السلطات البريطانية في تقديم الدعم المعنوي والمادي للمنفيين واللاجئين في البلاد، الذين وصل عددهم نهو ١٢,٠٠٠ رجل وامرأة فرنسيين شكلوا الجالية الفرنسية المستقرة بشكل دائم في بريطانيا عند اندلاع الحرب، واعتقدت الحكومة البريطانية أن اتباع نهج إنساني بحت سيضرّ

بمعنويات الشعب الفرنسي في بريطانيا، الذي تأثر بالفعل بالهزيمة تأثرًا بالغًا، أما بالنسبة لحركة فرنسا الحرة، فقد كانت مخاطر السيطرة على السياسات الثقافية الفرنسية أكبر، وسعت الحركة، التي لم يعترف بها الحلفاء رسميًا كحكومة في المنفى، إلى اكتساب الشرعية في نظر الحلفاء، وكانت الثقافة أداةً أساسيةً لاكتساب تلك الشرعية التي تشتد الحاجة إليها في بريطانيا وخارجها(٨).

أثرت الأحداث السياسية على إدارة الشبكات الثقافية في فرنسا وبريطانيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت بريطانيا وفرنسا تتنافس في المجالات نفسها ، ولا سيما في أفريقيا والشرق، وكان كل منها يهدف إلى الحفاظ على نفوذه على نخب الدول الأخرى أو تعزيزه، وكانوا يراقبون بعضهم البعض من خلال موظفيهم الدبلوماسيين والقناصل، وكان التنافس اللغوي، الذي عُد أحد جوانب الخلاف بين فرنسا وبريطانيا ، ولا سيما بعد ان فقدت اللغة الفرنسية، التي تمتعت بمكانة مرموقة بين الطبقة الأرستقراطية والنخبة الحاكمة ، بعض نفوذها خلال تلك المدة(٩).

إلا ان العلاقات الثقافية بين الدولتين شهدت فتوراً واضحاً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، عندما عهدت الحكومات المتحالفة إلى بريطانيا وحدها بتنظيم مؤتمر تأسيسي لمنظمة اممية تعني بشؤون الثقافة والتعليم في نيسان ١٩٤٥ ، وفي تموز من العام نفسه ، أكد الفرنسي هنري لوجييه"Henri Laugier "(١٨٨٨-١٩٧٣) مساعد الأمين العام للشؤون الاجتماعية في الأمم المتحدة أن الرعاية البريطانية المنفردة تتعارض مع "الروح الدولية" ,وقد تدفع حكومات أخرى لم يُسمَّها إلى عقد مؤتمرات مماثلة في أماكن أخرى، وقد ضمنت تلك الحيلة لفرنسا دور الاستضافة المشتركة مع بريطانيا لمؤتمر لندن التأسيسي عام ١٩٤٥، وأخيرًا خلال مؤتمر لندن نفسه، قايضت فرنسا الموافقة على مسودة دستور اليونسكو(١٠) "UNESCO" " مقابل موافقة بريطانيا على ان تكون باريس هي مقر للمنظمة(١١).

في مؤتمر لندن الذي عُقد في تشرين الثاني ١٩٤٥، والذي اعتمد دستور اليونسكو، تم الاتفاق على ان يكون مقر اليونسكو في باريس، وبالتالي ضمان التفوق الفرنسي كعاصمة ثقافية عالمية، وقد هدد ذلك الموقف خمول المعهد الدولي للدراسات الثقافية خلال الحرب الذي فرضته سلطات الاحتلال الألماني، علاوة على ذلك، طرحت بريطانيا مطالبة بديلة

قوية تستند إلى دورها خلال الحرب ومكانتها الثقافية البارزة، وفي البداية، حاولت فرنسا الترويج للمعهد الدولي للدراسات الثقافية في باريس كأمانة عامة للمنظمة الجديدة ، وذلك من شأنه أن يضمن استمرار التقاليد الفرنسية في التعاون الفكري ودورًا مركزيًا للكوادر الفرنسية , إلى جانب اختيار باريس، وفي النهاية، تم الغاء ذلك المقترح عندما تم التوصل الطرفان إلى اتفاق بشأن باريس كمقر لليونسكو، وعززت فرنسا موقفها التفاوضي عندما ضمنت لنفسها دور الراعي المشارك مع بريطانيا لمؤتمر لندن التأسيسي(١٢).

توطدت العلاقات بين فرنسا وبريطانيا بفضل نتائج الحرب وما اسفرت عنه من تشكل الكتلة الغربية بقيادة فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية المعادية للجبهة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفييتي ابان الحرب الباردة (١٣)، واثر ذلك تمركزت العديد من الجمعيات الفرنسية في لندن، مثل الجمعية الخيرية الفرنسية" the Société Française de Bienfaisance" التي تقدم المساعدات إلى اللاجئين , والجمعية الوطنية للأساتذة الفرنسيين"the Société Nationale des Professeurs de Français " ، واتحاد الطهاة والحلويات"the Union des Cuisiniers Pâtissiers Glaciers " ، فضلاً عن انتشار محلات الكوافير، والشركة الرياضية الفرنسية(١٤).

كانت بعض الأماكن فرنسية بشكل واضح، على الرغم من أنها لم تكن مخصصة للمجتمع الفرنسي فقط، مثل المستشفى الفرنسي وغرفة التجارة الفرنسية ، والكنيسة البروتستانتية الفرنسية والمؤسسات الكاثوليكية الفرنسية ،و كانت هناك أيضًا جمعيات تهدف إلى تعزيز العلاقات الفرنسية البريطانية والتي تمتلك فروعًا في لندن، مثل الاتحاد الفرنسي البريطاني للسياحة ، ومن حيث الوضع القانوني، لم تخضع تلك الجمعيات لقانون الجمعيات الفرنسي ، بل كانت خاضعة للقانون البريطاني ، وأدى السفراء الفرنسيون في لندن دورًا رئيسيًا في توسيع العلاقات الفكرية بين فرنسا وبريطانيا(١٥).

لطالما كانت العلاقة الثقافية بين فرنسا وبريطانيا غامضة، فقد تباينت العلاقة بين حكومتي لندن وباريس على مرّ القرون ، وشكّلت التجارة الاقتصادية والتنافس الاستعماري ، والعداء الثقافي أساس التفاعلات السياسية ، و أجريت دراسات موسعة ومكثفة حول العلاقات بين

فرنسا وبريطانيا في المجال الثقافي، وفي ذلك الصدد اتفق اغلب الباحثين على الاختلافات الثقافية العميقة بين البلدين (مثل اختلاف هويتيهما الدينية واتجاهاتهما الفنية)، وصراعاتهما على إمبراطوريتيهما الاستعمارية ، الأمر الذي انعكس على طبيعة العلاقات الثقافية بين البلدين في مرحلة السبعينات(١٦).

ثانياً: تطور العلاقات الثقافية بين البلدين ١٩٧٠ – ١٩٧٢

استخدمت فرنسا أدوات متنوعة لتعزيز حضورها الثقافي الدولي ، إذ كشفت البيانات الرسمية ومخصصات الميزانية عن ذلك الدور المركزي للعلاقات الثقافية في السياسة الخارجية الفرنسية، وعكست أهمية العلاقات الثقافية لفرنسا كلاً من الفرص والقيود في الموارد الفرنسية وفي الوضع الدولي ، إذ عُد الصندوق الثقافي الفرنسي حافزًا للعلاقات الثقافية، وقد حدّ ضعف الموارد المادية الفرنسية بعد الحرب من الاعتماد على المكونات الاقتصادية والعسكرية البديلة للسياسة الخارجية(١٧).

عقب الاجتماعات بين الحكومتين الفرنسية بقيادة الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو(١٨)" Georges Pompidou "والبريطانية بقيادة إدوارد هيث(١٩) "Edward Heath "عام ١٩٧٠، أُتيحت ما يُسمى بـ"أموال "هيث–بومبيدو" لدعم برامج جديدة للتبادل الشبابي والمنح الدراسية والروابط المدنية بين بريطانيا وفرنسا ، وطبقت برامج أخرى في مجال تعزيز الروابط الثقافية بين البلدين ، ولا سيما بعد تطور العلاقات السياسية الفرنسية – البريطانية منذ بداية عام١٩٧٠ (٢٠).

فقد تم التعاون في مجال الثقافي واقيمت الندوة الأولى في سلسلة ندوات مشتركة، في اذار ١٩٧٠ استضافها بالتناوب جامعة ليدز للدراسات الفيكتورية University" of' Leeds "في بريطانيا، ومركز "الحضارات والهويات الثقافية المقارنة للمجتمعات الأوروبية والغربية" في العاصمة الفرنسية باريس، وشارك بها وفد بريطاني استعرضوا فيها القواسم المشتركة لثقافة كلا البلدين ، اما الندوة الثانية، التي استضافتها جامعة سيرجي بونتواز" –Cergy Pontoise University" في ٤ نيسان ١٩٧٠ غرب باريس ، بعنوان "نظرة الأنجلو–سكسون على فرنسا في القرن التاسع عشر"، استكشفت بالفعل ردود الفعل البريطانية

والأمريكية تجاه فرنسا في القرن التاسع عشر – سياستها واقتصادها وثقافتها – وكيف شكلت تلك التصورات الأفكار والأنشطة الأنجلو– سكسونية(٢١).

كذلك كانت هنالك الترتيبات المتبعة في بريطانيا لدعم البحوث الأساسية عام ١٩٧٠، وان العلاقات بين وزارة الخارجية ومجالس البحوث وغيرها من هيئات صنع السياسات العلمية في بريطانيا، والنظام المزدوج (لجنة المنح الجامعية ومجالس البحوث) لدعم البحث العلمي في الجامعات، ودور برنامج دعم البحوث، ومفهوم برنامج متجدد لمدة خمس سنوات للإنفاق المستقبلي لمجالس البحوث, وان مسؤول من المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي يقوم بزيارة متبادلة إلى مركز البحوث العلمية في بريطانيا من أجل الترويج للمشروع، و توزيع كتيب في فرنسا وبريطانيا يُظهر أن المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي ومجلس البحوث العلمية مستعدان لدعم المشاريع الأنجلو–فرنسية ,لتشمل وكالات فرنسية أخرى ووضع المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي على اتصال بمجالس البحوث العلمية الأخرى المناسبة ,وعُد تبادل المجموعات البحثية، مثل مجموعة ساكلاي "Saclay " الفرنسية التي عملت في مختبر رذرفورد"Rutherford Laboratory" البريطاني ، وسيلةً فعّالة للغاية لتطوير التواصل العلمي بين البلدين(٢٢).

ومما أكد على التعاون البحثي والثقافي هو زيارة السيد بيور لوران "Piorre Laurent " المدير العام للعلاقات الثقافية والعلمية والتقنية في مقر وزارة الخارجية الفرنسية إلى لندن في ٦ كانون الثاني ١٩٧٠ واستقبله وفد من وزارة الخارجية البريطانية برئاسة المحامي ج. ف. إمبلينج "J.F. Embling " الحاصل على وسام الاستحقاق من وزارة التعليم والعلوم , وتباحث الطرفان عن تطوير المشاريع التي تخص البحث العلمي والتكنولوجيا ,ومناقشة عامة حول المصالح المشتركة في مختلف أفكار البحث الأساسي(٢٣).

وضعت وزارة الثقافة الفرنسية خطة للتوسع الثقافي في عام ١٩٧١ ، لتنظيم العلاقات الثقافية لكونها جزءًا لا يتجزأ من السياسة الخارجية الفرنسية، فقد ارتبط النشاط الثقافي ارتباطًا وثيقًا بالعمل السياسي والاقتصادي الذي يسبقه ويدعمه ويكمله ، ووفق ما نصت عليه الخطة الثقافية بأن الأنشطة الثقافية "تساهم بشكل مباشر في قوة فرنسا على المستوى

الدولي" ، كما سعت الوزارة الى زيادة المخصصات المالية لتطوير الأنشطة الثقافية ، إذ كانت ميزانية الإدارة العامة للشؤون الثقافية والتقنيات في الستينات ١٨٠ مليون فرنك ، وبحلول عام ١٩٧١، وصلت إلى ٨٩٤ مليون فرنك[٢٤].

شاركت مؤسسات بحثية متخصصة في دراسات انتشار اللغة وتقنيات التدريس، بعد ان أنشأت الحكومة الفرنسية مرسوم اللجنة العليا للدفاع ونشر اللغة الفرنسية , وتم الاتفاق مع المجلس الثقافي البريطاني (جهاز رئيسي للعلاقات الثقافية البريطانية) في حزيران ١٩٧١ ، على زيادة التعاون والتنسيق الثقافي بين فرنسا وبريطانيا ، من خلال إقامة المعارض المشتركة ، في باريس ولندن والعمل على الترويج للثقافتين البريطانية والفرنسية في كلا البلدين[٢٥].

في السياق ذاته ، اسهم المجلس الثقافي البريطاني بشكل كبير في تعزيز روابط العلاقات الثقافية مع فرنسا ، فبعد تراجع الاهتمام الموجه في العمل الثقافي والإعلامي بأوربا الغربية, ولا سيما فرنسا ، والذي انعكس بعد عقد من الزمن عندما أصبحت عودة بريطانيا إلى التكامل الأوربي ومحاولاتها للانضمام إلى السوق الأوربية المشتركة، التي قوبلت بالرفض في البداية من قبل الفرنسيين، أصبحت العلاقات الثقافية الشغل الشاغل للحكومة البريطانية، ومع تزايد انخراطها مع أوربا الغربية ، قلّص المجلس الثقافي البريطاني انخراطه في جنوب شرق آسيا بشكل متزايد، مما يُظهر الطبيعة الوثيقة للعلاقة بين الأولويات السياسية والثقافية في عمل المجلس الثقافي البريطاني، ولكنه يُظهر أيضًا سمة التوقف والبدء المتقطع للمراجعات المتكررة التي تستجيب لمصالح تكتيكية لا استراتيجية[٢٦].

جرت مناقشات تطور العلاقات الثقافية في ١ نيسان ١٩٧٢ من أجل الزمالات للخرجين وخُصص مبلغ قدره (٣٠) الف جنيه استرليني لتطوير ذلك المشروع , وليتمكن اساتذة الجامعات البريطانية من الدراسة في المؤسسات الفرنسية, وكان بموافقة الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو و رئيس الوزراء إدوارد هيث , وقدم المجلس البريطاني (٥٠) جنيه استرليني لتمويل تبادلات الطلبة الشباب مع فرنسا, وجرى تبادل الوفود في مضمار الرياضة, وتم

الاتفاق على دورة اللغة الفرنسية والادارة العامة للموظفين المدنيين البريطانيين في فرنسا , وتعليم اللغة الانكليزية وتوسيعها في فرنسا(٢٧).

كما تم الاتفاق في ١٨ تموز ١٩٧٢ على اقامة مركز في باريس خاصة بالكتب البريطانية وكان من يشغل المنصب من اسبانيا إلى ان يتم تجهيز المركز بالكامل واستحداث منصب لإدارة مركز الكتب , كما تواصلت جمعية فرنسا في مدينة تولوز الفرنسية في اقامة مركز للمجلس الثقافي البريطاني فيها وكذلك انشاء مكتبة في جامعة تولوز , إلا أن رأي القنصلية في فرنسا كان ان العمل في جنوب فرنسا لا يكون بمستوى المراكز في باريس وبذلك اغلق المركز في تولوز وتم التركيز على المراكز في باريس (٢٨).

اما في مجال الفن فقام المجلس البريطاني بالتعاون مع القائمين على المهرجانات في فرنسا والفرق الفنية واصحاب المعارض من أجل اقامة جولات في المدن الفرنسية عبر شبكة دور الثقافة الفرنسية , وشجعوا عروض الافلام الفرنسية والبريطانية , وتبادل المنتجين السينمائيين وقادة الفرق الموسيقية , إلى جانب الزيارات المسرحية , ومعارض الرسم مثل معرض الرسم الرومانسي في باريس(٢٩).

ثالثاً: العلاقات الثقافية بين البلدين ١٩٧٣ – ١٩٧٤.

قامت فرنسا بنشر الثقافة الفرنسية في بريطانيا ، وكانت النقطة الرئيسة في ذلك الاتجاه هي تدريس اللغة الفرنسية في بريطانيا ، والذي شكل العنصر الأساسي لنشر الثقافة الفرنسية ، إذ كان يُعتقد أن أفضل طريقة لنشر الروح الفرنسية هي من خلال لغتها ، وفي ذلك الصدد، كان التركيز على التدريس في لندن مشابهًا تمامًا للسياسات الأخرى التي وضعتها الحكومة أو الأفراد أو الطوائف الدينية خارج أوربا ، وبدأ تدخل الدولة في تدريس اللغة الفرنسية ، وتم تنفيذه من قبل الطوائف الدينية والمدارس والمعلمين المقيمين أو المربيات وحتى المشاريع الدولية مثل مدرسة لويز ميشيل الدولية " Louise Michel School" (٣٠).

حرص الفرنسيون منذ البداية على ضمان مكانة بارزة للغة الفرنسية في عدد من المنظمات والهيئات الأممية ومن ابرزها منظمة اليونسكو ،ولعلّ الهدف الفرنسي كان ضمان وجود مقر اليونسكو في باريس، واستلزمت الجهود الفرنسية الأكثر براعة لتوسيع نفوذها الثقافي من خلال اليونسكو جهودًا لتحديد التوجه العام للمنظمة ، رغبت فرنسا في تعريف اليونسكو كمنظمة "للتعاون الفكري" واتباع أنشطتها على غرار معهد التعاون الفكري الدولي (IICI) الذي كان مقره في باريس قبل الحرب ويعكس المصالح الفرنسية، وتوقع الفرنسيون أن يعزز جمع المثقفين الفرنسيين والأجانب في اليونسكو المكانة الثقافية الفرنسية الدولية [٣١] .

ان من ابرز السمات للسياسة الثقافية الفرنسية هي انتشار اللغة ونقائها، وقد أكدت الخطة الثقافية على أن: "**توسيع نطاق اللغة الفرنسية يجب أن يكون الشغل الشاغل لجميع أنشطتنا الثقافية**"، وستند ذلك التركيز على اللغة الفرنسية إلى تاريخها الطويل في الاستخدام الدولي، والآثار الدبلوماسية، ومسألة الهوية الوطنية، وعلى الرغم من إدراك البريطانيين للتداعيات التجارية لأنماط اللغة، وعُدّ الاستخدام الدولي للغة الفرنسية مرجعًا مشتركًا لتقدير النفوذ الدبلوماسي الفرنسي، ويمكن قياسه بالرجوع إلى استخدامه في المعاهدات والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية, ولاسيما ما اكده الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو في أهمية تفعيل مؤسسات السوق الأوربية المشتركة في التعامل مع الأعضاء , واستعمال اللغة الفرنسية داخل السوق الأوربية [٣٢].

ان فرنسا وبريطانيا منحت الشؤون الثقافية استقلالية مؤسسية تعكس فلسفة مختلفة وأكثر فعالية، فالمجلس الثقافي البريطاني هو هيئة استشارية مستقلة، بينما لا يسعى الفرنسيون إلى فصل هيكلي للشؤون الثقافية، لكنهم يصرون على تمييزها عن الدعاية، وفي ذلك صرّح جان باسديفان" Jan Basdevan "، رئيس الإدارة العامة بوزارة الخارجية الفرنسية في عام ١٩٧٣ ، بالموقف الفرنسي المسيطر: "**نعتقد، في الواقع على عكس الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال أنه من الضروري الحفاظ على حدود محكمة بين العمل الثقافي وأنشطة المعلومات أو الدعاية السياسية**" [٣٣].

وبذلك سعت الدولتان إلى اقامة المؤتمرات والدورات وتبادل الخبرات المهنية , واستقطاب المختصين البريطانيين إلى المؤتمرات القائمة في فرنسا, وكذلك اشتراك متخصصين في المؤتمرات المقامة في بريطانيا , وتشجيع النواب والمستشارين ومدراء المدارس التقنيات ,وعمداء الكليات في جميع الحقول المعرفية , وتشجيع الزمالات الأوربية لكلا الجنسين من الخرجين الكفؤين في الجامعات ليتابعوا دراستهم في الدول الأوربية الاخرى , وقدمت بريطانيا (٥٠) زمالة دراسية متعددة الجوانب مع توسيع الزمالة الخاصة بالجامعة الملكية ومشروع المنح للمجلس الأوربي للمعلمين في أوربا الغربية لحضور الدورات القصيرة من أجل الحصول على الشهادات الثانوية, وتوسيع مشاريع تبادلات الباحثين الشباب ,ومساعدة العلاقات بين اقسام الجامعات البريطانية والفرنسية[٣٤].

ساهمت بريطانيا عام ١٩٧٣ في مؤسسة الشباب الأوربية [٣٥] بدعم مالي إلى جانب مشاركة المجلس البريطاني في العديد من الانشطة, كما شاركت فرنسا في معرض الكتاب في بريطانيا ,إذ تم عرض الكتب البريطانية والدوريات والمنشورات, كذلك انتاج فلمين وترجمته إلى الفرنسية والايطالية , كما تكفل المجلس البريطاني بمصاريف الفعاليات مثل فرقة الاوبرا الملكية التي تقدم عروضاً مرئية ومتعددة الوسائل على مستوى عالمي وبحضور جماهيري واسع [٣٦].

تجلّت الجهود الفرنسية المبكرة لإضفاء طابع "فكري" على اليونسكو خلال الاجتماعات التي عقدت في العاصمة البريطانية لندن في كانون الثاني ١٩٧٤، فقد أراد الفرنسيون تحديد هيكلها وقيمها كمؤسسة لاستقطاب نخبة من المثقفين الدوليين ، وتعارضت تلك الأفكار مع تفضيل بريطانيا للأنشطة ذات الصلة المباشرة والملموسة بالسلام والأمن الدوليين، فعلى سبيل المثال، اقترحت بريطانيا تسمية اليونسكو "منظمة الأمم المتحدة للتعاون التربوي والثقافي"، وقد اعترض المندوبون الفرنسيون على تسمية "منظمة التعاون الفكري" بأنها أكثر اتساقًا مع الأفكار الفرنسية، وبالمثل، أكدت المقترحات الأمريكية والبريطانية لوضع ديباجة للدستور على متطلبات السلام والرفاهية الدوليين، بينما حثّت المقترحات الفرنسية بدلاً من

ذلك على "تنمية الثقافة" و"التضامن العالمي" و"مستوى أخلاقي وفكري أعلى" كعبارات تُعرّف جوهر عمل اليونسكو(٣٧).

امتازت العلاقات الثقافية الفرنسية–البريطانية في عام ١٩٧٤ بفتور بعد وفاة الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو والتغيرات السياسية التي حصلت داخل فرنسا , إلى جانب التغيرات التي حصلت داخل بريطانيا وبذلك لم يشهد عام ١٩٧٤ أي من التفاعلات أو الانشطة الثقافية الملحوظة اثناء تلك المدة , بسبب ما تعرضت له الدولتين من تغيير في الحكومات وازمة الطاقة, ومشاكل حول شروط العضوية لبريطانيا في السوق الأوربية المشتركة والتفاوض على تلك الشروط (٣٨).

الخاتمة والإستناجات

١–من خلال تتبع المسار التاريخي للدبلوماسية الثقافية، نجد ان فرنسا كانت اسبق من نظيرتها بريطانيا في ذلك المجال ، وقد استثمرت فرنسا العلاقات الثقافية عن طريق نشر اللغة الفرنسية والترويج للثقافة الفرنسية ، لأدراك الحكومة الفرنسية أهمية هذا المسعى لتعزيز القوة السياسية والتجارية مع بقية البلدان الأخرى .

٢–اما بريطانيا بدأت بصياغة دبلوماسية ثقافية تهدف الى الترويج للثقافة البريطانية في أوروبا وبقية انحاء العالم ، بعد ان عرفت قيمة ذلك الامر ، والمردود السياسي الذي يعود بالمنفعة لبريطانيا ، لذلك طورت بريطانيا طريقة نشر ثقافتها ومحاولة فصلها عن السياسية.

٣–اعتمدت فرنسا في تحقيق غايتها على لغتها ، كونها القضية الأهم التي تعبر عن ثقافة الشعوب ، وذلك الامر لم تعتمده بريطانيا ، لذلك كانت فرنسا هي الأفضل في ذلك المجال ، ومع ذلك فقد أدت الثقافة دوراً كبيراً في مساعدة فرنسا ابان الحرب ، ولهذا الامر لا بد من الإشارة الى المجلس الثقافي البريطاني ، الذي كان له الدور الأهم في تقوية العلاقات الثقافية مع فرنسا .

٤-سعت فرنسا الى تعزيز الروابط الثقافية مع بريطانيا من خلال إقامة الندوات الثقافية التي أقيمت في العاصمة باريس في بداية السبعينات ، لتقوم نظيرتها بعقد ندوات ثقافية مماثلة ، وكان الهدف منها تطوير العلاقات الثنائية بين البلدين .

٥- فتور العلاقات الثقافية بين الدولتين عام ١٩٧٤ بسبب الاوضاع السياسية والاقتصادية مما أثر بشكل سلبي على ما قدمته الدولتين في السنوات السابقة.

الهوامش :

(١) كما كان الحال مع يواكيم دو بيلاي "Joachim du Bellay " الذي عمل مع عمه في روما عام ١٥٥٣، أو جان جاك روسو"Jean Jacques Rousseau" الذي شغل منصب سكرتير سفارة البندقية عام ١٧٤٣ . للمزيد ينظر :

Charlotte Faucher, French cultural diplomacy in early twentieth-century London. University of London Press: Institute of Historical Research,2013,P.281.

(٢) وكانت الجمعيات الراعية لذلك جمعية التحالف الفرنسي التي تأسست عام ١٨٨٣، والرابطة الفرنسية لنشر اللغة التي تأسست عام ١٨٨٤,والبعثة العلمانية الفرنسية التي تأسست عام ١٩٠٥ ,وكانت اهدافهم نشر اللغة الفرنسية داخل المستعمرات الفرنسية وخارجها .للمزيد ينظر :

M. Bruézière, L'Alliance Française – histoire d'une institution ,Paris, 1983,pp.10-12.

(3) Charlotte Faucher,op.cit.,p.282.

(٤) نشأ البرنامج البريطاني كرد فعل على الصراع الأيديولوجي الشديد في الحقبة النازية والقطبية الثنائية بعد الحرب، علاوة على ذلك، يتوافق أسلوب البرنامج الإعلامي البريطاني مع التقاليد الإنجيلية البروتستانتية والتصور البريطاني للشؤون العالمية، ويُفسر الفقر النسبي للثقافة البريطانية الرفيعة هيمنة الدعاية للمؤسسات الحكومية وازدهارها على العلاقات الثقافية، وباعتبار بريطانيا عاملًا ضعيفًا في السياسة العالمية، فإن الضغوط عليها أقل لمحاكاة سلوك الاتحاد السوفيتي. للمزيد ينظر : William Pendergast, French cultural relations,

Egmont Institute Chronique de politique étrangère, Vol. 27, No. 3, Mai .1974,p.339.

(5) Ali Fisher, A story of engagement: the British Council 1934–2009. London , Foreword by Neil Kinnock,2010,p.16.

(6) Charlotte Faucher, Transnational cultural propaganda French Cultural Policies in Britain, Culture & Society, Vol. 37, No. 1, 2019,p.48.

(7)Ibid,p 49 .

(8) Ibid,p p. 49-50.

(9) J.-M Delaunay, Des Palais en Espagne: l'Ecole des Hautes Etudes Hispaniques et la Casa de Velázquez au cœur des,1994,p.32.

(١٠) اليونسكو : هي منظمة الامم المتحدة للتربية و التعليم والثقافة , واتفقت الدول التي انتمت اليها على الاسهام في اقرار الامن والسلام عن طريق التعاون في مجالات التربية والعلوم والثقافة , وتم الاتفاق على

التأسيس المنظمة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٥, ووقعت ٣٧ على الميثاق التأسيسي , الذي تم تطبيقه عام ١٩٤٦. للمزيد ينظر :

رابح عطية , دور منظمة اليونسكو في حماية حقوق الانسان , رسالة ماجستير , جامعة محمد خضير بكسرة , كلية الحقوق والعلوم السياسية ,الجزائر , ٢٠١٩.

(11) William R, Pendergast, UNESCO and French cultural relations 1945-1970. International Organization: International Organization Vol. 30, 1976,p.452.

(12) Ibid,p.453.

(١٣) الحرب الباردة : مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وحلفائهم منذ منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات, عدت صراعاً محتوماً ما بين الأيديولوجيات المتعارضة بين الطرفين , ووصفت بانها باردة لا ن الطرفين لم يتواجهوا بصورة مباشرة , وانما استخدمت الأدوات العسكرية من خلال أطراف ثالثة . للمزيد من التفاصيل ينظر :

Stephen J .Lee and Sean Lang , The Cold War, London, 1997,PP. 3-4.

(14) Charlotte Faucher,op.cit.,p.287.

(15) Ibid,pp.287-288.

(16) Rosemary Mitchell, Mutual (In)Comprehensions: France and Britain in the Long Nineteenth Century, Newcastle, Cambridge Scholars Publishing,2013,pp.1-2.

(17) William R, Pendergast, UNESCO and French cultural relations 1945-1970,p.454.

(١٨) جورج بومبيدو :جورج جان ريمون بومبيدو ,(١٩١١-١٩٧٤), رئيس فرنسا للمدة (١٩٦٩-١٩٧٤),وتدرج في الخدمة العسكرية وقضى عام ١٩٣٤م خدمته المطلوبة في فيلق المشاة في الالب , بعد ذلك نال وظيفة مدرس في مدرسة مرسيليا , شارك في الحرب العالمية الثانية بعد ان استدعي للخدمة العسكرية عام ١٩٣٩م , وكان المدير العام السابق لبنك روتشيلد (١٩٥٢-١٩٥٨), شغل منصب رئيس الوزراء (١٩٦٢-١٩٦٨) وهي أطول مدة يتولها زعيم في تاريخ فرنسا. للمزيد من التفاصيل ينظر :

Don Cook ,The Men and History ,New Uork ,1981,PP.286-294.

(١٩) إدوارد هيث: إدوارد ريتشارد جورج (١٩١٦-٢٠٠٥) , سياسي بريطاني شغل منصب رئيس وزراء بريطانيا للمدة (١٩٧٠-١٩٧٤) , انتخب عضوا في البرلمان عام ١٩٥٠ , أصبح وزيراً العمل عندما تولى ماكميلان رئاسة الوزراء عام ١٩٥٧م , وزعيم حزب المحافظين من(١٩٦٥-١٩٧٥) . للمزيد من التفاصيل ينظر:

Edward Heath, The Course of My Life: The Autobiography of Edward Heath, London,1998.

(٢٠) إنّ رحيل الرئيس شارل ديغول أضفى تحسناً جوهرياً في العلاقات الفرنسية– البريطانية , إذ سعت الدولتين إلى طي صفحة المدة الديغولية للقيام بانطلاقة جديدة, إذ جرت محادثات بناءة مع المسؤولين الفرنسيين على العديد من القضايا . للمزيد ينظر :

The National Archives , Foreign and Commonwealth Office and predecessors, Relations between the UK and France , 21 April 1970, FCO 49/290, P.7.

.

(٢١) وفي تلك الندوتين ، كان الهدف هو دراسة التصورات الفرنسية لبريطانيا أيضًا، وترسيخ الشعور بالطبيعة الحوارية والتفاعلية العالية للعلاقات الفرنسية البريطانية ، وكانت النتيجة نظرة ثاقبة غنية ومفاجئة في بعض الأحيان . للمزيد ينظر :

Rosemary Mitchell, Mutual (In)Comprehensions, France and Britain in the Long Nineteenth Century, Newcastle ,Cambridge Scholars Publishing,2013,p.4.

(22) The National Archives , Foreign and Commonwealth Office and predecessors, Relations between the UK and France , 22 April 1970, FCO 55/483, P.5.

(23) Ibid,p.6.

(24) William Pendergast, French cultural relations,p.339.

(25) Ibid,p.340.

(26) Andrew Smith,The British Council and the political economy of cultural value in historical context ,Oxford University Press,London,2014,p.6.

(27) The National Archives , The British council , Relations between the UK and France , 29 April 1972, FC. 31/61, P.24.

(28) Ibid,3 August 1972, FC. 31/61, P.28.

(29) Ibid,20 August 1972, FC. 31/61, PP.31-36.

(٣٠) التي تأسست عام ١٨٩٢ في ساحة فيتزروي، بالقرب من يوستون، والتي كانت أهدافها متجذرة في التقاليد الاشتراكية، وسعت إلى تقليص الأفكار القومية الفرنسية.

Charlotte Faucher,op.cit.,p.288.

(31) William R, Pendergast, , UNESCO and French cultural relations 1945-1970,p.454.

(32) Robert L. Lane , The Foreign Policies of the Fifth Republic ,A Study in Presidential Styles, A Thesis, (Unpublished), The College of William and Mary in Virginia,1981,P.52.

(33) William Pendergast, French cultural relations,p.346.

(34) The National Archives , The British council , Relations between the UK and France , 25 April 1973, FC. 31/61, P.32.

(٣٥) مؤسسة الشباب الأوربية : تأسست في عام ١٩٧٢ لدعم الشباب الأوربي لدعمهم المالي والتعليمي الى جانب انشطة الشباب الاخرى , وضمت في البداية ١٧ دولة أوربية .للمزيد ينظر :

Laurence Eberhar ,The Council of Europe and youth Thirty years of experience, Strasbourg, France,2002.

(36) The National Archives , The British council , Relations between the UK and France , 26 April 1973, FC. 31/61, PP.33-36.

(37) William R, Pendergast, , UNESCO and French cultural relations 1945-1970,p.455.

(38) The National Archives , Foreign and Commonwealth Office and predecessors ,Relations between the UK and France , 23 July 1974, FCO 33/2410 ,P.11.